ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

مرحلة جديدة افتتحت.. تحولات كبرى في المنطقة

محمد علي جعفر

على وقع التحولات في المنطقة يجري الحديث عن الصراع الإقليمي والدولي، في ظل صعوبة تقدير المسار الذي ستؤول اليه الأمور وهو ما يُعتبر الحالة الأصعب أمام راسمي السيناريوهات المستقبلية للصراع. لكن جملة من الحقائق كافية لتأكيد أن قواعد الاشتباك المستقبلية في المنطقة والعالم لن تكون كما سبق. ومن هنا سنبدأ.

شكّل اغتيال الفريق قاسم سليماني نقطة تحوُّل في رسم المسارات المستقبلية. وهو ما استدعى إعادة الأطراف الإقليمية والدولية للنظر في تموضعاتها. وبمجرد لحاظ الأثر، يمكن بسهولة لحاظ حجم الفريق الشهيد قاسم سليماني وأهمية دوره. وبالتالي، فإن عملية الاغتيال بما شكلته من حدث مفصلي، تعني بدلالاتها أنها ستُشكل منعطفاً في سلوك الأطراف الإقليمية والدولية المرتبطة. فمن سيكون عرّاب هذا التحوُّل؟

بالنظر الى مظهر الحدث فهو جاء جزءًا من تصفية حساباتٍ بين أمريكا وإيران. لكنه في محتواه ينطوي على ما هو أعمق. ما يتطلّب ضرورة لحاظ الصراع بين أمريكا

بما تعنيه من قوة وحلفاء، وطهران بما تعنيه من قوة وحلفاء. لنقلْ إن المعنيين في المرحلة المقبلة للتعاطي مع نتائج الاغتيال لا ينتمون الى جغرافيا معينة، بقدر ما ينتمون الى جغرافيا سياسية وعسكرية واقتصادية منتشرة على نطاق المنطقة والعالم.

وهنا، فإن الحدث الأهم بعد الاغتيال هو الرد الإيراني. ليس لأنه جاء رداً على الاغتيال، بل لكونه حدّد بداية المسار الإستراتيجي الذي يجب أن تسلكه الأحداث. لذلك فإن الحدث لا يُقرأ بعدد القتلى. ومن قال إن معيار نجاح الرد قائمٌ على عدد القتلى، في حين أعلنت طهران وحلفاؤها أن الرد سيكون عبر اخراج أمريكا من غرب آسيا؟

لذلك ومن خلال وقائع الأيام الماضية، نجد أن طهران أصرّت على الرد، رغم وساطات أطراف إقليمية ودولية. هذا أولاً. ومن ثم بدأت بالرد من خلال استهدافها لأبعد قاعدة عسكرية أمريكية عنها في العراق وبشكل دقيق. وهنا تعني الأولى أنه لا تراجع عن الرد الكامل، فيما تعني الثانية أن طهران قادرة على استهداف ما تشاء من الوجود الأمريكي وفي الزمان والمكان والكيفية التي تريد. فما الجديد فيما حصل؟

نتائج الصفعة الإيرانية تقدّم السلوك والخطاب الإيراني محلياً وإقليمياً ودولياً مقابل تراجع السلوك والخطاب الأمريكي في الداخل الأمريكي وعلى الصعيد الدولي. وهو ما يُعتبر تحولاً نوعياً في الصراع. لماذا؟

اكتفت طهران بإطلاق عدة صواريخ نوعية وأصابت أهدافًا دقيقة. الجديد في ذلك هو أن إيران أطلقت الصواريخ من أراضيها على قاعدة أمريكية. وهو ما أدخل الإقليم والعالم في حسابات تبدأ من حيث انتهى الإيرانيون. حتى أن الداخل الأمريكي لم يرحم الإدارة الأمريكية في سلوكها منذ أن اتخذت قراراً بالاغتيال، وصولاً الى ردة فعلها التي افتقدت وللمرة الأولى لعوامل القوة والجبروت الأمريكي. وهو ما نتج عن دعوة واشنطن الجانب الإيراني للمفاوضات، وعدم تطبيق الجيش الأمريكي لتهديدات الرئيس ترامب. ما أفقد الإدارة الأمريكية هيبتها، خصوصاً أن قرار الاغتيال جمع موافقات كل من الإدارة السياسية والإدارة الأمنية والإدارة العسكرية. وهو ما يجعلهم شركاء في الاغتيال وفي تحمُّل نتائجه أيضاً.

بناءً على ما تقدّم، ما الذي سيحصل مستقبلاً حين تبدأ ترجمة بقايا الرد من قِبَل طهران وحلفائها والذين يضمون الى جانب محور المقاومة دولا كالصين وروسيا كأطراف تتلاقى فيما بينها على إخراج الأمريكي من المنطقة؟

لا شك أن المنطقة والعالم دخلا مرحلة جديدة افتتحتها طهران ببدئها الرد. ولا شك أن العالم سيشهد تحولات كبرى انطلقت من ساحة العراق لكنها ستتخطاها الى ساحات أخرى. وهو ما يعني أن الرد بدأ وسيأخذ مساراً طويلاً. فهل سيكون الجميع شركاء في الرد؟

لماذا إدلب خارج الصراع الدولي قريباً؟

د.وفيق إبراهيم

ينتقل الصراع الدولي على الشرق الأوسط من زاوية إلى أخرى، حسب درجات موازين القوى المنقبة عن مصادر الثروة والأهميات الاستراتيجية، حتى أن هذه المنطقة أصبحت تبدو على شكل مناجم وآبار تقتحمها دول وتتخلّى عنها أخرى مقابل التمركز في أنحاء مختلفة واعدة.

هذا ما يحدث في ليبيا التي يتصارع عليها حشد من دول غربية وأوروبية الى جانب تموضع تركي اقتحم المشهد ببركات الاخوان المسلمين المحليين المتقاطعة مع «أريج» الغاز والنفط المنبعث من كامل مساحة ليبيا التي تزيد عن مليون وأربعمئة الف كيلومترمربع يقيم فيها نحو خمسة ملايين نسمة فقط.

بالمقابل تتعرّض منطقة إدلب السورية لاحتلال تركي مباشر يستعين بعشرات آلاف الارهابيين من تنظيمات النصرة وهيئة تحرير الشام وأجناد القوقاز والأيغور من تركستان الصينية وبعض الهيئات التركمانية المحلية والاخوان المسلمين.

الفارق بين إدلب وليبيا، هو وجود دولة مركزية واحدة في سورية تضع نظاماً تدريجياً لتحرير مناطقها المحتلة من الإرهاب الدولي وقوات أميركية وأوروبية وتركية مع تدخل خليجي ـ أردني مكشوف.

هذه الدولة لا تساوم على أيّ جزء من سيادتها، كما أثبتت مرحلة الهجوم الكوني عليها الذي بدأ منذ ٢٠١١ ولا يزال مستمراً، والثابت أنها تنتقل من تحرير منطقة محتلة الى أخرى، حتى نشرت سيادتها على رقعة تصل الى ٦٨ في المئة من مساحة سورية بعد تراجع جعل دولة دمشق تنحصر في العاصمة وأريافها المباشرة والساحل البحري.

ما هو واضح الآن، أن الدور في التحرير وصل إلى إدلب بالتزامن مع انفجار الصراع على الكعكة الليبية بين كل من فرنسا وإيطاليا وألمانيا ومصر وتركيا وروسيا والأميركيين وصولاً إلى قطر والسعودية في العالم ومنظمة القاعدة وحواملها من داعش والنصرة وهيئة تحرير الشام.

لذلك، فليبيا اليوم منقسمة بين دولة طرابلس الغرب التي يقودها السراج القريب من «الاخوان» متمتعاً باعتراف الأمم المتحدة بشرعيته، لكنه لا يسيطر إلا على خمس عشرة في المئة من مساحة ليبيا.

بالمقابل هناك قوات حفتر في بنغازي التي تنتشر مع القبائل ومراكز القوى التقليدية على نحو ٨٥ في المئة من مساحة البلاد.

ما هو واجب في البداية يفرض تحديد هوية المتصارعين على كل من ليبيا وإدلب بصيغتيها السورية والحدودية مع تركيا؟

يتنافس للسيطرة على ليبيا، كل من فرنسا وايطاليا والمانيا وانجلترا الى جانب تركيا والروس والأميركيين، بالإضافة إلى مصر التي تستعمل سلاح الخطابة والصراخ، علماً أنها مجاورة تماماً لليبيا، ولديهما الكثير من الروابط والعلاقات بين شعبيهما، هناك أيضاً تنظيمات الاخوان المسلمين والقاعدة بحواملها من داعش والقاعدة، الى جانب تفتت الليبيين حسب اللون القبلي والمناطقي الى الأثني ـ العرقي الذي يفتت ليبيا بين عرب وبربر أمازيغ.

من جهة إدلب، فسكانها سوريون مع أقليات من التركمان السوريين أيضاً، ويبدو أن حدودها مع تركيا أتاح للحكومة التركية استغلال السيطرة الإرهابية على معظم سورية بالتعاون مع الغرب والخليج الفارسي، فأدخلت جيشها الى محافظة إدلب ومناطق عفرين والحدود، كما اقتحمت حالياً مناطق حدودية في شرقي سورية.

والقوى المسيطرة على إدلب حالياً هي إذاً تركيا وإرهابها القاعدي ـ الداعشي مع دعم أميركي أوروبي ـ خليجي ـ إسرائيلي، تعود أسبابه الى محاولات هذه القوى لتعطيل إمكانية استعادتها من قبل الدولة السورية.

بالمقابل هناك حلف الدولة السورية، مع روسيا وحزب اللّه والمستشارين الإيرانيين الساعين لتحريرها.

الأمل الذي يدفع الى التساؤل حول هذا التزامن بين بدر عمليات تحرير إدلب وتأجيج الصراع الدولي على ليبيا. فالمصادفات في هذه الأمور لا تحدث إلا قليلاً، خصوصاً أن الفئات المشتبكة واحدة، والأسباب متشابهة، إلا أن خروج فئات من صراع معين لا يعني أبداً أنها غادرت لأسباب حبية، بل لدواع تتعلق بانبثاق خلل في موازين القوى، أو تحاصص حسب المصالح.

فتركيا مثلاً مثالٌ ساطع لقوة تحاول العثور على مواقع نفوذ تؤكد من خلالها على أهمياتها التاريخية، مع الميل إلى الاستفادة الاقتصادية.

وبما أن سورية تشكل بالنسبة اليها المدخل الى المنطقة العربية، فأعطتها مستوى عميقاً من التدخل الايديولوجي والاستعماري المباشر، لكنها فوجئت باستعادة الدولة السورية قوتها وإصرارها على عدم المساومة على أي جزء من أراضيها مع مباشرتها من دون أي تراخٍ بعملية تحرير إدلب.

هذا إلى جانب مواكبة دؤوبة من

حلفائها، حتى أن روسيا التي تتفاوض مع أردوغان على مستوى لقاءات «أستانة» أو بشكل ثنائي جزمت لتركيا بضرورة رحيلها من إدلب، لذلك تشارك في قصف مواقع الإرهاب فيها بشكل عنيف، يؤشر الى جزم روسي بضرورة انسحابهم نحو تركيا، التي لم تجد أيضاً آذاناً روسية صاغية لبعض طموحاتها النفطية في شرق الفرات، إلى جانب هلعها من المشروع الكردي المدعوم أميركياً وإسرائيلياً، بالتزامن نفسه يفتتح الجيش السوري ثلاثة معابر إنسانية في ريف إدلب وحلب تسهيلاً لعبور المدنيين من مناطق العمليات العسكرية المرتقبة، بما يكشف نهائياً أن معركة تحرير القسم الأكبر من إدلب بدأت فعلياً وسط إذعان تركي يبحث عن تعويض في ليبيا.

إن القوى الخارجيّة المتورّطة في الأزمتين السورية والليبية واحدة، لكن ردود الفعل الليبية والسورية مختلفة، ففيما تشكل الدولة السورية القوى الأساسية في بلادها ولديها حلفاء لديهم مصالح معها، إنما من خلال مصالح الدولة السورية وسيادتها، فإن القوى الخارجية الداعمة للقوتين الليبيتين المتصارعتين، تلعب الدور الأول والأساسي وتتغطى بالليبيين لاكتساب الشرعية والانتشار الجغرافي.

فالمشير خليفة حفتر الذي تنتشر قواته مع القبائل وزعماء المناطق والأحياء في ٨٥ في المئة من ليبيا مدعوم من فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وروسيا ومصر والخليج الفارسي فيما تؤيد دولة السراج تركيا، وسط موقف أميركي ينحاز تارة نحو حفتر وطوراً نحو السراج في حركة التباس مقصودة توحي بأن الأميركيين لن يتركوا بئراً ليبية واحدة لسواهم.

بدورها روسيا تقتحم المشهد بدعم حفتر وتلعب دوراً وسيطاً مع السراج من خلال تركيا حليفة السراج والتي ترتبط معها بعلاقات وثيقة.

ماذا يريد كل هؤلاء؟ الغاز والنفط اللذان تمتلك ليبيا الكثير منهما، ويبدو أن ضعف القوى الليبية عامل يبيح تقاسم إمكاناتها بين القوى المتصارعة عليها، وما حكاية وقف إطلاق النار بين قوات حفتر والسراج إلا هدنة بسيطة للعودة إلى القتال.

يتبين بالاستنتاج أن قوة الدولة السورية تخفض من مصالح القوى الخارجية، فيما يشكل ضعف الدولة الليبية الشرعية من جهة والإمساك الخارجي الكبير بدولة المشير حفتر من جهة أخرى عوامل تضع ليبيا في قبضة صراعات دولية على ثرواتها، تُعيد مشاهد الاستعمار القديم الذي قسّم المنطقة سابقاً على وقع الانتشار النفطي الموجود في أراضيها. وفيما تذهب سورية نحو مزيد من التماسك وتحرير أراضيها، يخشى المراقبون من تفتيت ليبيا الى كيانات تلبي حاجات الصراع الدولي على ثرواتها أكثر من توق الليبيين إلى وطن واحد.

إسرائيليون يسألون: لماذا تستمر الهجمات المسلحة رغم الاغتيالات؟

عدنان أبو عامر

قالت كاتبة إسرائيلية إن "الفلسطينيين أحيوا قبل أيام الذكرى السنوية الرابعة والعشرين لاغتيال المهندس يحيى عياش، القائد العسكري لحركة حماس، الذي اغتالته إسرائيل في مثل هذه الأيام من عام ١٩٩٦ في قطاع غزة، بعد أن عمل لسنوات في التخطيط لعمليات انتحارية وتفجيرية نفذها عناصر حماس ضد أهداف إسرائيلية".

وأضافت كاسنيا سيفاتلوفا، التي أعدت تقارير من سوريا ولبنان وليبيا ومصر وتونس والخليج الفارسي، وتتحدث الإنجليزية والروسية والعبرية والعربية، بمقالها على موقع "زمن إسرائيل"، ترجمته "عربي٢١"، أن "عياش، خريج قسم الهندسة الكهربائية بجامعة بير زيت في رام اللّه، ساهم بتأسيس الجناح العسكري لحماس المعروف باسم كتائب عز الدين القسام".

وأوضحت أن "عياش عرف باسم المهندس، لأنه كان مسؤولا عن إعداد القنابل والعبوات الذكية، ووقف خلف عمليات محولا في ١٩٩٣ والعفولة في ١٩٩٤، ثم شارك بالتخطيط لعمليات الحافلات المتفجرة بالقدس وتل أبيب".

وأشارت سيفاتلوفا، عضو الكنيست السابقة عن المعسكر الصهيوني، وعضو لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، إلى أن "عياش نجح بسنوات طويلة في التخفي عن عيون الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، لكن في الخامس من يناير وضع نهاية لمسيرته الطويلة من خلال هاتف مفخخ فجرته إسرائيل خلال محادثته مع أبيه، حين شخصت المخابرات الإسرائيلية صوته بدقة، ما أدى لمقتله على الفور، وقد أطلقوا في رام اللّه اسمه على أحد شوارعها".

وأوضحت أنه "صحيح أن إسرائيل اغتالت عياش، الذي قتل إسرائيليين كثر، لكن عمليات حماس تواصلت، ولم تتوقف عقب اغتياله، وصحيح أنه لا يبدي أحد في إسرائيل أسفه على غياب عياش عن صورة المشهد، لكن السؤال الكبير: هل أن الأدوات المسماة اغتيالات، تصفيات، إحباطات، باتت مفيدة ومجدية، أم أن الأصل أن يتم القضاء على منظومة كاملة من العمليات والهجمات، وليس فقط قتل شخص معين، مهما بلغت درجة تأثيره".

يارون ديكل، مقدم البرامج في هيئة البث التلفزيون الإسرائيلي "كان"، طرح السؤال ذاته في تقرير تلفزيوني، ترجمته "عربي٢١"، جاء فيه: "هل أن الاغتيالات المركزة باتت مفيدة فعلا في حفظ الأمن الإسرائيلي؟ خاصة أن هذه الاغتيالات تحمل بين طياتها آمالا ومخاطر جمة، في الوقت ذاته، يفترض أخذها بعين الاعتبار عند إصدار قرار الاغتيال".

ديكل أجرى استطلاعا لآراء عدد من الجنرالات والخبراء العسكريين الإسرائيليين حول جدوى سياسة الاغتيالات، فذكر داني ياتوم رئيس القسم السياسي والأمني بمكتب رئيس الحكومة، أنه "بشكل عام، فإن الخيار الأكثر تفضيلا لمواجهة الهجمات المسلحة هو الاغتيال، لأنه يشكل ردعا للعدو، وأي أحد من قادته لا يريد أن يكون اسمه التالي في قائمة الاغتيالات".

أما نائب ريس هيئة أركان الجيش الجنرال عوزي ديان، فقال إن "حماس استغرقت سنوات طويلة حتى تعافت من فقدانها للشيخ أحمد ياسين، ولذلك فإن الدافع الأساسي للاغتيال هو الفعالية اللازمة له، وكم يمكن لغيابه أن يمنع وقوع المزيد من العمليات من جهة، ومن جهة أخرى كم سيحقق من الردع للعدو".

يورام شوارتسر، رئيس مشروع مكافحة الإرهاب في معهد أبحاث الأمن القومي بجامعة تل أبيب، قال إن "العادة جرت أن الشخصية التي سيتم اغتيالها تستغرق وقتا في اتخاذ قرار بتصفيتها، خاصة إذا كانت مركزية في التنظيم المعادي، سواء في صلاحياتها الواسعة، أو قدرتها على التأثير في الآخرين، بحيث أن غيابها عن الصورة سيلقي بظلال سلبية على هؤلاء".

روعي شارون، الخبير في الشؤون العسكرية، أجاب عن السؤال، بالقول إن "هناك قاعدة اسمها "من قام إلى قتلك، بادره بالقتل، أو العين بالعين، وحين تقرر إسرائيل تصفية إنسان ما، فهي تقرر بالأساس قطع قدراته على المس بها، رغم أن الثمن الذي قد تدفعه إسرائيل جراء هذ الاغتيال، أو ممن سيأتي في القيادة بعده، قد يكون أخطر من الاغتيال ذاته".

لبنان ومعركة طرد الوجود الأميركي

غالب قنديل

تنطلق موجة تعليقات ومواقف بعد كل خطاب لقائد المقاومة يتناول فيه القضايا الإقليمية تظهر عبرها معالم البرمجة الأميركية في حشد العملاء المحليين ليرددوا في كل مكان ومن جميع المنابر الإعلامية والسياسية المتاحة عبارات التحريض والاستنكار.

تتردد دائما نغمة إن "السيد يورط لبنان لمصلحة إيران وسورية" وبكل صفاقة لم يتردد الطابور السياسي الإعلامي نفسه في بث تلك المعزوفة قبل عقود عندما كانت المقاومة تصارع الاحتلال الصهيوني فكانوا يزعمون ان معاركها هي لصالح مقايضة سورية مع العدو لاسترجاع الجولان او انها تتلاقى بتوقيتها مع سعي إيراني للضغط التفاوضي وجاء التحرير قطافا لتضحيات المقاومة وجمهورها ودماء شهدائها كما جاءت تحولات سياسية متلاحقة في العلاقات الأميركية الإيرانية وفي جميع فصولها لم تقبل طهران إدخال لبنان في سلة المفاوضات.

على الرغم من إنجاز التحرير واتضاح صورة المقاومة النقية كقوة تحرير وطنية ورغم إنجازها الكبير المتمثل في بناء قوة دفاعية رادعة تحمي لبنان وتشل العدو ما يزال ذلك

المنطق سائدا بتوجيه من الغرف السوداء وهو مستنسخ عن التعامل الأميركي الصهيوني مع المقاومة منذ انطلاقها بتصويرها كجالية تابعة للخارج وليست قوة شعبية متجذرة في الأرض التي تدافع عنها وتحميها كما برهنت التجربة المديدة بجميع فصولها التي اوضحت ان المقاومة هي التي تردع العدوان وتحمي السلم الأهلي وقيادتها توظف جميع تحالفاتها وشراكاتها داخل المحور في خدمة هذا التوجه المبني على مصالح لبنان العليا شعبا وأرضا ومؤسسات اقتصاديا وسياسيا ووطنيا.

السؤال المطروح مؤخرا هو ما علاقة لبنان بمعركة طرد الوجود العسكري الأميركي في المنطقة وهل إن المصالح اللبنانية العليا التي تحرص عليها المقاومة تحتم علينا الانخراط في معركة محور المقاومة لاقتلاع القوات والأساطيل من المحيط الإقليمي المسمى بالشرق الأوسط ؟

أولا إن القوة الأميركية القاهرة تفرض على لبنان عقوبات اقتصادية ومالية قادته إلى الاختناق ووضعته على شفير انهيار كبير ولا مجال لإنهاض دورة الاقتصاد الوطني من غير تحريرها من قبضة الهيمنة الأميركية ووصاية ادواتها المختلفة كصندوق النقد الدولي ومن قيود منتدى الدائنين في باريس التي جاهر جيفري فيلتمان بها مؤخرا وفيها انتقاص من السيادة وتدخل يعاكس المصالح اللبنانية .ثانيا تماس الولايات المتحدة ضغوطا مكثفة على لبنان لتعطيل جميع محاولات تسهيل عودة النازحين السوريين إلى وطنهم بينما تسلم سائر الجهات اللبنانية بحقيقة تضخم الأعباء التي يمثلها النزوح وبكونها من عوامل استنزاف المالية العامة رغم الوجوه الاقتصادية الإيجابية التي ينطوي عليها دور الأيدي العاملة السورية في الاقتصاد والودائع الصرفية السورية الضخمة التي حجزت بتعليمات أميركية.

ثالثا يعترض الضغط السياسي الأميركي وبالتهديدات أي تطور محتمل في العلاقات اللبنانية السورية على الرغم من تلهف معظم الساسة ورجال الأعمال اللبنانيين إلى دخول السوق السورية وحجز مقاعد لهم في ورشة إعمار سورية .

رابعا يعطل الاحتلال الأميركي والضغوط السياسية الأميركية فتح الطرق التجارية إلى العراق وهو الشريك المهم للبنان منذ ما يزيد على السبعين عاما في مجالات التسويق الصناعي والزراعي والسياحة والتعليم والخدمات الطبية وهو ما يعني حرمان لبنان من فرص ثمينة ومجزية.

خامسا تمارس الولايات المتحدة بقوة حضورها في المنطقة ضغطا مكثفا على السلطات اللبنانية لإجبارها على تقديم تنازلات سيادية عن حقوق لبنان البحرية لمصلحة العدو الصهيوني وتحت عناوين الوساطة بين بيروت وتل أبيب حمل الموفدون الأميركيون من صهاينة الإدارة شوطا مرفوضة إلى الجانب اللبناني ولم يملوا اويكلوا.

سادسا التدخل الأميركي في منع تنويع مصادر تسليح الجيش اللبناني يفقأ العيون بينما يحظر الغرب الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة بجميع حكوماته حصول الجيش اللبناني على أي سلاح او عتاد يعزز قدراته الدفاعية في وجه التهديد الصهيوني الدائم.

لكل هذه الاعتبارات يعني رحيل القوات الأميركية من الشرق رفع جبال ثقيلة من الضغط والعرقلة الأميركية التي تكبل القرار السيادي اللبناني ومن هنا فما يعلنه قائد المقاومة يخص جميع اللبنانيين لأنه يعني تحقيق الحرية والسيادة وتحصين القرار السيادي الوطني في جميع الشؤون الاقتصادية والسياسية والدفاعية والوطنية بل هو شرط لابد منه لإنقاذ لبنان.